



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>Assi. Lect. Ahmed  
Abbas Abd MusaWasit Education  
Directorate/ Open  
Educational College

Email:

[Ahmedabed@uowasit.edu.iq](mailto:Ahmedabed@uowasit.edu.iq)

Keywords:

Infallibility , prophets ,  
acknowledgment ,  
denial

Article info

Article history:

Received 20.Apr.2025

Accepted 12.May.2025

Published 10.Nov.2025



## The Infallibility Between Acknowledgment and Denial: A Comparative Interpretive Study

### A B S T R A C T

The Holy Qur'an explicitly mentions infallibility, and this is clear and unambiguous among religious scholars, commentators, and others. However, many Qur'anic verses mention disobedience, misguidance, ignorance, frowning, and other things that are inappropriate for the status of God's prophets and messengers (may God's prayers be upon them). However, some of them said so, while others cleared them of the base descriptions attributed to them on the grounds of infallibility. There is no doubt that explaining this matter requires mentioning the different interpretations of the verses and comparing them in terms of proving or denying the infallibility of the Prophet, even if it is without explicitly denying it. Because some of these attributes, in the view of the proponents of transcendence, are detrimental to infallibility, unlike the other group that believes that what is important in this situation is the infallibility of the Prophet in conveying the revelation and nothing else. This is what was clarified by means of research into some of the verses related to the subject, between the first of the prophets and their seal (may God's prayers be upon them both), and praise be to God, Lord of the Worlds.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol61.Iss1.4430>

العصمة بين الإقرار والإنكار دراسة تفسيرية مقارنة

م.م. أحمد عباس عبد موسى

مديرية تربية واسط - الكلية التربوية المفتوحة

المستخلص:

إن القرآن الكريم تعرض لذكر العصمة باللفظ الصريح، وهذا واضح لا لبس فيه بين علماء الدين من مفسرين وغيرهم، لكن الكثير من الآيات القرآنية قد ورد فيها ذكر المعصية والغواية والجهل والعبوس وغيره مما لا يناسب مقام أنبياء الله ورسله (صلوات الله عليهم)، ومع ذلك قال به بعضهم، أما البعض الآخر فقد نزههم مما نسب إليهم من دني الأوصاف باعتبار العصمة، ولأشك من أن بيان هذا الأمر يقتضي التعرض لذكر التفسيرات المختلفة للآيات والمقارنة بينها من حيث

اثبات عصمة النبي أو نفيها، وإن كان من غير تصريح بالنفي، لأن بعض هذه النعوت في نظر أصحاب التنزيه مخلّة بالعصمة، بعكس الفريق الآخر الذي يرى أن المهم في هذا المقام هو عصمة النبي في تبليغ الوحي لا غير، وهذا ما تم بيانه بوساطة البحث في بعض الآيات المتعلقة بالموضوع، بين أول الأنبياء وخاتمهم (صلوات الله عليهم)، والحمد لله رب العالمين.

**الكلمات المفتاحية:** العصمة، الأنبياء، الاقرار، الانكار

### المقدمة

إن مقام النبوة من أعظم المقامات، وهو من الأنطاف الإلهية لشخصيات عظيمة، وذات تأثير كبير، ذكرهم القرآن بما يؤكد تقواهم وخطورة ما كلفوا به من حمل أعباء الرسالة، والدعوة الحقّة إلى الله سبحانه وتعالى فكان لا بدّ من تأييدهم بالمعجز، والإفاضة عليهم بالتسديد، والمنّ عليهم بالعصمة؛ ليكونوا دعاة إليه وحججاً على خلقه، لمزايا وصفات ميزتهم وفضلتهم على غيرهم، إلا أننا نجد في القرآن الكريم ألفاظاً ذات بُعد وعمق يحتاج إلى بيان أهل الاختصاص من أهل التفسير، ولكننا نجدهم قد تباينت أفهامهم، واختلفت مشاربهم، في حمل النصوص التي فيها نوع من الحدة، بل ونوع تحذير لهؤلاء الكرام المجتوبون، فكيف تعامل أهل هذا الفن مع هذه الألفاظ كون أن نسبتها إليهم قد يقدح بمقام العصمة، وكذلك قد تتعارض مع نصوص أخرى في هذا الكتاب المعجز، وسأحاول من خلال البحث فك الإشكال في هذه الأقوال بعد عرض أقوال المقرين والمنكرين والترجيح بينها وذلك بما يتعلق بأول الأنبياء وخاتمهم صلوات الله عليهما، وبما يفتح الله عليّ، إنه ولي الإعطاء والمن.

### المبحث الأول

**نبي الله آدم (عليه الصلاة والسلام):**

إن آدم (عليه السلام) هو الامتداد الأولي للبشرية، وحامل التكليف الأول في التسلسل الوجودي لأنبياء الله (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد ذكر لنا القرآن الكريم في كثير من سوره ما فيه بيان الخلق من حيث المادة الأولية لهذا الموجود، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١١ ﴾ فاطر: ١١، والأطوار التي افتقر إليها قبل الإيجاد، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ١٤ ﴾ المؤمنون: ١٤.

ثم بيّن لنا القرآن الكريم علة الإيجاد بنسب أهل الذكر، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ١١٦ ﴾ آل عمران: ١٩١.

وبيّن كذلك ماهية التكليف، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠ ﴾ البقرة: ٣٠.

ثم جاء الأمر الإلهي بالسجود لهذا المخلوق الذي نفخ فيه من روحه، وكرمه بالسجود له دون سائر خلقه؛ لبيان أهليته وأفضليته بما منحه من قوى، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٢١ ﴾ الحجر: ٢٩،

وما علمه، قال سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ٣١.

رفض ابليس السجود لآدم (عليه السلام):

بعد أن أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لهذا المخلوق الذي كرمه بالنفخ فيه من روحه، سجد الملائكة كلهم إلا ابليس أبى واستكبر، ومنه بدء العداوة من هذا المخلوق المعاند المتكبر الضال لآدم (عليه السلام) وذريته، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ هُمْ فِي الْأَرْضِ لِأَعْوِبْتُمْ لِأَرْضِيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا عَاقِبَتُ لَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الحجر: ٣٩، ومعه بدء الاختبار لبني آدم، وكان الاختبار الأول لآدم (عليه السلام)، بالمنع من الأكل من الشجرة، فهل كان آدم (عليه السلام) مدرك لخطورة الأكل من الشجرة؟ ولحقيقة عداوة ابليس وتوعده؟ أم هي التجربة الأولى؟ وهل كانت قبل الاصطفاء أم بعده؟ وإذا كانت بعد الاصطفاء فكيف تعامل المفسرون مع صريح الآيات القرآنية، التي دُكر معها السلوك الأول لآدم (عليه السلام) بالأكل من الشجرة، والآيات التي ذكرته بالمعصية والغواية.... وغير ذلك مما فيه دلالة على المعصية، كطلب المغفرة.

إن حقيقة طلب المغفرة لم تكن من آدم (عليه السلام) وحده، بل إن القرآن الكريم ذكر لنا قول موسى (عليه السلام): ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي لَأَرْزُقَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٥١، وقبله إبراهيم (عليه السلام): ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ إبراهيم: ٤١، وسليمان (عليه السلام): قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص: ٣٥، ونوح (عليه السلام): قال تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ نوح: ٢٨، والله سبحانه يأمر نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والمؤمنين بالاستغفار: قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المزمّل: ٢٠، فهل هذا الاستغفار لذنب أم لشيء آخر؟ وهذا ما سيتم بيانه إن شاء الله من خلال البحث.

### الذنب والمعصية والغواية

إن الذنب في اللغة: هو "الإثم والجُرم والمعصية، والجمع ذنوب، وذنُوبات جمع الجَمْع، وَقَدْ أَذْنَبَ الرَّجُلُ؛ وَقَوْلُهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي مَنَاجَاةِ مُوسَى، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ؛ عَنَى بِالذَّنْبِ قَتْلَ الرَّجُلِ الَّذِي وَكَرَّهُ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَضَى عَلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ" (الأفريقي، ١٤١٤هـ، صفحة ٣٨٩/١)، ويظهر من دعاء آدم انه أراد أن يغفر له ذنبه، بعد أن خالف الأمر الإلهي الموجه إليه بعدم الأكل من الشجرة، وعدم الاستماع لإبليس، لكنه أكل فكان عاقبة الأمر أن أخرج مما كان فيه، وقد علم ذلك بعد أن بدء تغيير الحال، وسلب النعم، فأسرع هو وزوجته لطلب المغفرة.

فهل كان طلبه عن ذنب؟ وهل كان صغيراً أم كبيراً؟ متعمداً أو غير ذلك، ما هو قول أهل التفسير أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف: ٢٣، وبين الطبري بأن "هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة، خلاف جواب اللعين إبليس إياه. ومعنى قوله: (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا)، قال: آدم وحواء لربهما: يا ربنا، فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدونا وعدوك، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه، من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها (وإن لم تغفر لنا)، يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنوبنا فتعطينا علينا، وتترك فضيحتنا به

بعقوبتك إيانا عليه "وترحمنا"، بتعطفك علينا، وتركك أخذنا به (لنكونن من الخاسرين)، يعني: لنكونن من الهالكين" (الطبري، ٥١٤٢٠، صفحة ٣٥٧-٣٣٥٦/١٢)

أما القمي فله رأي يروييه عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن آدم لم يكن قاصدا للمعصية من وجهين:

**الأول:** إنها التجربة الأولى.

**الثاني:** إن إبليس أقسم لآدم بأنه ناصح، فكان ذلك أعظم أثرا في نفسه؛ لأنه لم يتوقع أن أحدا يحلف كاذبا.

وفي تفسير العياشي لما بدت من آدم الخطيئة واعتذر إلى ربه عز وجل قال: "يا رب تب علي واقبل معذرتي واعدني إلى مرتبتي وارفع لديك درجتي فلقد تبين نقص الخطيئة ونزولها بأعضائي وسائر بدني قال الله تعالى: يا آدم أما تذكر امرئ إياك بأن تدعوني بمحمد وآله الطيبين عند شذائلك ودواهيك وفي النوازل التي تنهضك. قال آدم: يا رب بلى، قال الله عز وجل: فبهم بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خصوصا صلوات فادعني أجبك إلى ملتصك وأزدك فوق مرادك. فقال آدم .... ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها وأن أفطنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحترز منها لكنت قد جعلت ذلك ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقا لعلمي فالآن فبهم فادعني لأجيبك .... فذلك قوله عز وجل (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)" (الكاشاني، صفحة ١٢٠/١٢١)

فيمكن القول بعد هذا العرض إن ما كان من آدم (عليه السلام)، من أكله من الشجرة أولاً، ثم طلبه للمغفرة فيما بعد أمور عدة:

**الأول:** إنها التجربة الأولى.

**الثاني:** إن إبليس أقسم لآدم بأنه ناصح، فكان ذلك أعظم أثرا في نفسه؛ لأنه لم يتوقع أن أحدا يحلف كاذبا.

**الثالث:** إنه لم يكن قد اجتبي، واصطفي للرسالة بعد، وهذا ما جعله ينسى.

**الامر الاخر:** قوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ نُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٣﴾ طه: ١٢١

إذ وردت لفظتي "العصيان" و "الغواية" وظاهر دلالة اللفظتين في بادئ الأمر على ارتكاب الذنب، فتكون نتيجة هذا الارتكاب نفي العصمة عن النبي آدم (عليه السلام)، لكون أن هناك "من الناس من تمسك بهذا في صدور الكبيرة عنه من وجهين: الأول: أن العاصي اسم للذم فلا ينطلق إلا على صاحب الكبيرة لقوله تعالى: وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا [النساء: ١٤] ولا معنى لصاحب الكبيرة إلا من فعل فعلا يعاقب عليه. والوجه الثاني: أن الغواية و الضلالة اسمان مترادفان و الغي ضد الرشد و مثل هذا الاسم لا يتناول إلا الفاسق المنهمك في فسقه" (الرازي، ١٤٢٠ هـ، صفحة ١٠٨/٢٢)، ومن أجل رفع هذا الاشكال لا بد من الرجوع إلى رأي علماء التفسير في بيان معنى العصيان والغواية.

حيث ورد أن معنى "المعصية مخالفة الأمر، والأمر قد يكون بالواجب والندب فإنهم يقولون: أشرت عليه في أمر ولده في كذا فعصاني، وأمرته بشرب الدواء فعصاني، وإذا كان الأمر كذلك لم يمتنع إطلاق اسم العصيان على آدم لا لكونه تاركا للواجب بل لكونه تاركا للمندوب، فأجاب المستدل عن هذا الاعتراض بأننا بينا أن ظاهر القرآن يدل على أن العاصي

مستحق للعقاب والعرف يدل على أنه اسم ذم فوجب تخصيص اسم العصي بتارك الواجب، ولأنه لو كان تارك المندوب عاصياً لوجب وصف الأنبياء بأسرهم بأنهم عصاة في كل حال لأنهم لا ينفكون من ترك المندوب" (الرازي، ١٤٢٠ هـ، صفحة ١٠٩.١٠٨/٢٢)، ومعنى ذلك أن المعصية من النبي آدم "عليه السلام" هنا تركه لأمر مستحب فلا يستحق العقاب على تركه. كذلك جاء بأن "هذه الواقعة كانت قبل النبوة. وهاهنا بحث لا بد منه وهو أن ظاهر القرآن وإن دل على أن آدم عصى وغوى لكن ليس لأحد أن يقول: إن آدم كان عاصياً غاوباً، ويدل على صحة قولنا أمور:

**أحدها:** قال العتبي: يقال لرجل قطع ثوباً وخاطه قد قطعه وخاطه، ولا يقال: خائظ ولا خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به، ومعلوم أن هذه الزلة لم تصدر عن آدم عليه السلام إلا مرة واحدة فوجب أن لا يجوز إطلاق هذا الاسم عليه.

**وثانيها:** أن على تقدير أن تكون هذه الواقعة إنما وقعت قبل النبوة، لم يجز بعد أن قبل الله توبته وشرفه بالرسالة والنبوة، إطلاق هذا الاسم عليه كما لا يقال لمن أسلم بعد الكفر إنه كافر بمعنى أنه كان كافراً، بل وبتقدير أن يقال: هذه الواقعة وقعت بعد النبوة لم يجز أيضاً أن يقال ذلك لأنه عليه السلام تاب عنها، كما أن الرجل المسلم إذا شرب الخمر أو زنى ثم تاب وحسنت توبته لا يقال له بعد ذلك إنه شارب خمر أو زان فكذا هاهنا.

**وثالثها:** أن قولنا: عاصي وغاوي يوم كونه عاصياً في أكثر الأشياء وغاوباً عن معرفة الله تعالى ولم ترد هاتان اللفظتان في القرآن مطلقتين بل مقرونين بالقصة التي عصى فيها فكانه قال: عصى في كيت وكيت وذلك لا يوهم التوهم الباطل الذي ذكرناه.

**ورابعها:** أنه يجوز من الله تعالى ما لا يجوز من غيره، كما يجوز للسيد في عبده وولده عند معصيته من إطلاق القول ما لا يجوز لغير السيد في عبده وولده، أما قوله: **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** فالمعنى ثم اصطفاه فتاب عليه أي عاد عليه بالعمو والمغفرة وهده رشده حتى رجع إلى الندم والاستغفار وقبل الله منه ذلك" (الرازي، ١٤٢٠ هـ، صفحة ١٠٩.١٠٨/٢٢).

واستناداً على ما ذكر فإن شبهة ورود لفظة العصيان في الآية القرآنية إذا أخذت على المعنى الظاهرة تكون نافية للعصمة، ألا أن التحقيق أثبت غير هذا، وهذا الأمر أيده روايات أهل البيت (عليهم السلام) كما في الرواية التي نقلها هاشم البحراني الواردة في عيون أخبار الرضا (الصدوق، د.ت، صفحة ١٩١/١) حيث أورد الحديث **قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ، قَالَ: لَمَّا جَمَعَ الْمُأْمُونُ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أَهْلَ الْمَقَالَاتِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَمِنَ الدِّيَانَاتِ: مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالصَّابِيِّينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ أَلْزَمَهُ حُجَّتُهُ كَأَنَّهُ أُلْقِمَ حَجْرًا، قَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْجَهْمِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَتَقُولُ بِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟ فَقَالَ الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «وَيْحَاكَ - يَا عَلِيُّ - اتَّقِ اللَّهَ، وَ لَا تَنْسُبْ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْفَوَاحِشَ، وَلَا تَتَأَوَّلْ كِتَابَ اللَّهِ بِرَأْيِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَالَ: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ». وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آدَمَ: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حُجَّةً فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَةً فِي بِلَادِهِ، لَمْ يَخْلُقْهُ لِلْجَنَّةِ، وَكَانَتْ الْمُعْصِيَةُ مِنْ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي الْجَنَّةِ لَا فِي الْأَرْضِ [وَعِصْمَتُهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِي الْأَرْضِ] لِيَتِمَّ مَقَادِيرُ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَهُ حُجَّةً وَخَلِيفَةً، عَصَمَهُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» (البحراني، ١٤١٥ هـ، صفحة ٧٨٣.٧٨٢/٣).**

كما وضح هذا الامر السيد الطباطبائي بقوله: "الغي خلاف الرشد الذي هو بمعنى إصابة الواقع وهو غير الضلال الذي هو الخروج من الطريق، والهدى يقابلها ويكون بمعنى الإرشاد إذا قابل الغي وبمعنى إراءة الطريق، أو الإيصال إلى المطلوب بتركيب الطريق إذا قابل الضلال فليس من المرضي تفسير الغي في الآية بمعنى الضلال. ومعصية آدم ربه إنما

هي معصية أمر إرشادي لا مولوي، والأنبياء (ع) معصومون من المعصية والمخالفة في أمر يرجع إلى الدين الذي يوحى إليهم من جهة تلقيه فلا يخطئون، ومن جهة حفظه فلا ينسون ولا يحرفون، ومن جهة إلقائه إلى الناس وتبليغه لهم قولاً فلا يقولون إلا الحق الذي أوحى إليهم وفعلاً فلا يخالف فعلهم قولهم ولا يقترفون معصية صغيرة ولا كبيرة لأن في الفعل تبليغاً كالقول، وأما المعصية بمعنى مخالفة الأمر الإرشادي الذي لا داعي فيه إلا إحراز المأمور خيراً أو منفعة من خيرات حياته ومنافعها بانتخاب الطريق الأصلح كما يأمر وينهى المشير الناصح نصحاء فإطاعته ومعصيته خارجتان من مجرى أدلة العصمة و هو ظاهر. وليكن هذا معنى قول القائل إن الأنبياء (ع) على عصمتهم يجوز لهم ترك الأولى ومنه أكل آدم (ع) من الشجرة والآية من معارك الآراء وقد اختلفت فيها التفسير على حسب اختلاف مذاهبهم في عصمة الأنبياء وكل يجر النار إلى قرصته" (الطباطبائي، ١٣٩٠ هـ، صفحة ٢٢٢/١٤).

يستخلص الباحث مما تقدم أن المعصية التي أشار إليها النص القرآني لا تقدر بعصمة النبي آدم (عليه السلام)، وتكون النتيجة أن العصمة ثابتة له (عليه السلام)، وبهذا الأمر يثبت المطلوب بوجود عصمة الأنبياء (عليهم السلام)، وما ذكر من الفاظ في النص القرآني ظاهراً ينفي العصمة إلا أن ظاهر اللفظ لا يؤخذ به بل لا بد من الرجوع به إلى من خوطبوا بالنص القرآني فبينوه وهم محمد وآل محمد.

كما إن سيد البشر، وخاتم الأنبياء والمرسلين، ورد في القرآن الكريم من الألفاظ، والخطابات الحادة، ما يوهم أنها تخصه (صلى الله عليه واله وسلم)، دون غيره، وكانت محل خلاف أهل التفسير، فهم بين مقر، ومنكر؛ لما لها من أثر في القدر بمقام العصمة، وهنا سأبين بعض هذه الألفاظ، وقول أهل التفسير في محاولة لحل ما يتعلق بظاهر الألفاظ، ومعانيها عند أهل الفن، مقارنة ومرجعاً ما يناسب حال النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من العصمة، وعلو الشأن بدلالة القرآن الكريم.

### أولاً: عبس وتولى

إن العبوس في اللغة: هو إقطاب الوجه والغضب والإعراض (الفراهيدي، د.ت، صفحة ٣٤٣/١)، وهذا ما فعله النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عندما جاءه الأعمى "وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأميمة بن خلف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت" (الألوسي، ١٤١٥ هـ، صفحة ٢٤١/١٥)، للوهلة الأولى يرى القارئ إن مثل هذا التفسير لا يخلو من التنقيص من مقام النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فهذا الفعل مرفوض وغير مقبول عند العقلاء من ذوي الفطر السليمة، والطباع الحسنة، فكيف يكون مقبولاً، ومستساغاً عند من هو أكرمهم وأفضلهم بنص القرآن الكريم! وعندما نقرأ في تفسير آخر نجد أن العابس والقاطب هو رجل آخر، قال القمي في تفسيره إنها "نزلت في عثكن وابن أم مكتوم وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله ص وكان أعمى، وجاء إلى رسول الله ص وعنده أصحابه وعتكن عنده، فقدمه رسول الله ص عليه فعبس وجهه وتولى عنه فأنزل الله عَبَسَ وَتَوَلَّى يَعْنِي عَثْكَ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُرْكَى أَي يَكُون ظَاهراً أَرْكَى أَوْ يَذْكَرُ قَالَ يَذْكُرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ص". (القمي، ١٤٠٤ هـ، صفحة ٤٠٥.٤٠٤/٢).

وقد ناقش السبجاني أصحاب التفسير الأول، وجاء جوابه مفصلاً، يمكن إجماله بالآتي:

إن الله سبحانه وصف نبيه الكريم بأنه يتصدى للأغنياء، ويتلهى عن الفقراء، وهذا مخالف لنص القرآن في وصف خلقه الكريم، ومدى تحننه، وعطفه على قومه، وهذا ما نص عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨

وأيضاً نعته بالخلق العظيم، فكيف يكون كذلك وهو ممن يقطب ويتولى من فقير يسأل، ثم إنه مأمور بخفض الجناح للمؤمن، والإعراض عن المشرك لا العكس، وهذا ما ورد ذكره في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨، وقوله سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَشْرِكِينَ﴾ ٩٤ الحجر.

وهو مخالف لما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من فعل، فلماذا خالف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) النص الصريح، وعبس، وتولى، هل لعلو شأنهم في نفسه وخشيتهم من قولهم: إن أتباعه من العميان والعبيد؟! ثم أن العاقل يدرك أن التعامل مع هكذا موقف قد يتم بطريق آخر غير الإقطاب والتولي، وهو الأسهل، وذلك بأن يسكته ويستمهله حتى يتم كلامه، فلم ترك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، هذا الخيار، وذهب إلى الأول؟! (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٥/٢٦٠.٢٥٨)

وهذه الوجوه تورث الشك في صحة التفسير الأول؛ لمخالفته للآيات القرآنية الصريحة التي تم ذكرها، وأيضاً ما جاء من تنزيهه (صلى الله عليه وآله وسلم)، من الفظاظ والغلاظة، فكان (صلى الله عليه وآله وسلم)، لين الجانب، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩، فهذا وغيره فيه دلالة على مخالفة التفسير الأول لصريح الآيات المنزهة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من دني الأقوال والأفعال، والقاطعة له بعظيم الخصال.

وقد استعان أصحاب التفسير الثاني بالمنزهين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). على تأويل ما جاء في سياق النص القرآني، من قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ أَعْلَاهُ يَرْبُّكَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ عبس: ٣-١٠.

فهذه الخطابات "متوجهة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن من وجه إليه الخطاب غير من قصد منه، فهو من مقولة: «إياك أعني واسمعي يا جارة» ومثل هذا يعد من أساليب البلاغة، وفنون الكلام" (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٥/٢٦٢)

يتبين لنا مما تقدم أن الإقطاب لا يمكن أن يكون من الرسول الكريم، صاحب الخلق العظيم؛ لأنه يتعارض مع صريح الآيات القرآنية الأخرى، وهذا طبيعي فالقرآن كل متكامل يؤكد بعضه البعض الآخر، ولا يمكن بحال أن يكون منافياً له.

### ثانياً: مغفرة ذنب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد تحدث القرآن الكريم عن غفران ذنب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، في سورة الفتح الآية الثانية، وذهب أهل التفسير في تأويل الآية مذاهب متباينة، فمنهم من جعل مغفرة الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم سبباً للفتح؛ لأنها من جملة ما أراد حصوله بسبب الفتح، وليست اللام. لام التعليل. مقتضية حصر الغرض من الفعل المعلل في تلك العلة، فإن كثير من الأشياء تكون لها أسباب متعددة، وكثيرة فيذكر بعضها مما يقتضيه المقام.

فالمعنى: أن الله قد جعل عند حصول هذا الفتح غفران جميع ما يؤاخذ الله على مثله أنبيائه ورسله حتى لا يبقى لرسوله صلى الله عليه وسلم ما يؤخره عن بلوغ نهاية الفضل بين المخلوقات.

فجعل سبحانه هذه المغفرة جزءا له على إكمال أعماله التي أرسل من أجلها من التبليغ، والجهاد في سبيله، والرغبة إليه سبحانه. فلما حصل الفتح بسعي النبي، وتسببه بتيسير الله له ذلك؛ جعل الله جزاءه غفران ذنوبه كلها، بعظم أثر ذلك الفتح، بإزاحة الشرك، وعلو كلمة الله سبحانه، وتزكية النفوس وتكميلها بالإيمان وصالح الأعمال. (بن عاشورالتونسي، ١٩٨٤، صفحة ١٤٦/٢٦).

وفي الجهة المقابلة يأتي صاحب تفسير مجمع البيان ليبين إن هذا القول وما شابهه من أقوال جميعها مرفوض، وغير مقبول وغير موافق لما يذهب إليه أصحابنا من كون الأنبياء معصومين من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها، فمنها: قولهم ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها، ومنها: قولهم ما وقع وما لم يقع على الوعد بأنه يغفره له إذا وقع، ومنها: قولهم ما تقدم الفتح وما تأخر عنه، ومنها: قولهم ما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك، وما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك والكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن حمل ذلك على الصغائر التي تقع محبطة عندهم، فالذي يبطل قولهم إن الصغائر إذا سقط عقابها وقعت مكفرة فكيف يجوز أن يمن الله سبحانه على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يغفرها له وإنما يصح الامتتان والتفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذه به لا بما لو عاقب به لكان ظالما عندهم فوضح فساد قولهم (الطبرسي، د.ت)، ثم يبين الطبرسي، معتمداً قول الطوسي أن تفسير الآية لا يخلو من أحد وجهين: (الطوسي، د.ت، صفحة ٣١٥.٣١٤/٩)

**الأول:** ما روي عن الإمام الصادق (ع) عندما سأله رجل عن تفسير الآية فقال: والله ما كان له ذنب ولا هم بذنب ولكن الله حمل له ذنوب شيعته ثم غفرها له.

**والثاني:** "ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن الذنب مصدر و المصدر يجوز إضافته إلى الفاعل و المفعول معا فيكون هنا مضافا إلى المفعول و المراد ما تقدم من ذنوبهم إليك في منعهم إياك عن مكة و صدهم لك عن المسجد الحرام و يكون معنى المغفرة على هذا التأويل الإزالة و النسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه أي يزيل الله تعالى ذلك عنك و يستر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكة فستدخلها فيما بعد و لذلك جعله جزاء على جهاده و غرضا في الفتح و وجهها له قال و لو أنه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن قوله « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله » معنى معقول لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضا فيه و أما قوله « ما تقدم » و « ما تأخر » فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك و بقومك" (الطبرسي، د.ت، صفحة ١٦٧/٩) .

لكن البعض يحتج بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تُحَدِّثُكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الإسراء: ٧٣

وهذه الآية قد احتج بها الطرفان، فقد جعلها الأول دليل على العصمة، والآخر على عدمها، فالرازي ومن تابعه قد جعل الآية في مقام الإيجاب والإثبات والدليل الراجح على عصمته (صلى الله عليه وآله وسلم)، أما الطرف الآخر من المفسرين ممن يحمل اللفظ على الظاهر قد جعلوا الآية في مقام السلب والنفي مما جاء في عصمته (صلى الله عليه وآله وسلم) (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٢٤٠.٢٣٢/٥)

#### العفو عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والاعتراض عليه

تضمنت الآية الثالثة والأربعون من سورة التوبة تصريحاً بالعفو عن ذنب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتراض على الأذن الذي جعله للمنافقين، قال تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ التوبة: ٤٣

فقد جاء في بيانها "وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه {عفا الله عنك لم أذنت لهم} في التخلف وهلا تركتهم {حتى يتبين لك الذين صدقوا} في العذر {وتعلم الكاذبين} فيه" (السيوطي، د.ت، صفحة ٢٤٧/١) .

ودلالة العفو التي أشار إليها التفسير هنا ساقطة لعدة اعتبارات:

**أولها:** أن الجملة خبرية أريد منها الإنشاء، وطلب العفو هنا، كما في قولنا (أيدك الله، وغفر الله لك) فطلب العفو للمخاطب نوع دعاء وتقدير وتكريم.

**الثاني:** إن الإنسان مهما بلغ من درجة ومقام عال من التقوى يرى أعماله حسب عرفانه واستشعاره لعظمة الخالق، وكبر المسؤولية، أن ما هو الأكمل والأفضل خلاف ما وقع منه، فتحتته نفسه الزكية طلب المغفرة والعفو لإزالة هذا التقصير في الأجل والعاجل (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٢٤١.٢٤٠/٥)

أما ما يخص الاعتراض على أذن النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، يقول السبحاني: "لو كانت المخطئة عارفة بأساليب البلاغة وفنون الكلام لعرفت أن أسلوب الكلام في الآية، أسلوب عطف وحنان، وأشبه باعتراض الولي الحميم، على الصديق الوفي، إذا عامل عدوه الغاشم بمرونة ولين، فيقول بلسان الاعتراض: لماذا أذنت له، ولم تقابله بخشونة حتى تعرف عدوك من صديقك، ومن وفى لك ممن خانك، على أنه وإن فات النبي معرفة المنافق عن هذا الطريق لكنه لم يفته معرفته من طريق آخر، صرح به القرآن في غير هذا المورد، فإن النبي الأكرم كان يعرف المنافق من المؤمن بطريقتين أخريين:

١- كيفية الكلام ... وفي ذلك يقول سبحانه: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ).

٢- التعرف عليهم بتعليم منه سبحانه قال: ( مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنْ رُسُلِهِ مِنْ نِشَاءٍ )، والدقة في الآية تعيد بأن الله سبحانه يجتبي من رسله من يشاء ويطلعهم على الغيب، ويعرف من هذا الطريق الخبيث ويميزه عن الطيب" (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٢٤٢.٢٤٣/٥) وبهذا لم يفته على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) شيء، فإنه وإن لم يعرف المنافق من هذا الطريق فإنه وقف على معرفته من الطريقتين الأخريين.

## المبحث الثاني

### الخطابات الحادة:

قد ورد في القرآن الكريم ألفاظاً فيها حدة، ونوع تحذير للنبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم)، قد تكون إذا ما حُملت على الظاهر مما يخل بمقام النبي وعصمته، فكيف تعامل أهل التفسير مع هذه الألفاظ، واليك بعضها:

١- قال تعالى: ﴿ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعَالِمِ إِنَّكَ إِذَا لَمَسْتَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ البقرة:

- ٢- قال تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ الإسراء: ٨٦-٨٧
- ٣- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥
- ٤- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَكِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٧
- ٥- قال تعالى: ﴿ أَلْحَقْ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ البقرة: ١٤٧ - ٥
- ٦- قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ أُنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَافًا أَثِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ النساء: ١٠٧

يلحظ في الآية الأولى حدة الخطاب، وشدته إذا ما نظرنا إلى ظاهر اللفظ دون معناه الحقيقي الذي بيته أهل التفسير من كلا الفريقين، وجاء قولهم على أن المعنى من الخطاب أمته (السمرقندي، د.ت، صفحة ١٠١/١) أما عوام الناس، أو المخطئة الذين قالوا بأن القرآن أكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه:

"أحدها: الإتيان باللام الموطئة للقسم: ثانيها: القسم المضمّر. ثالثها: حرف التحقيق وهو أن، رابعها: تركيبه من جملة فعلية وجملة اسمية، وخامسها: الإتيان باللام في الخبر. وسادسها: جعله من الظالمين، ولم يقل إنك ظالم لأن في الاندراج معهم إيهاماً بحصول أنواع الظلم. وسابعها: النقييد بمجيء العلم تعظيماً للحق المعلوم، وتحريضاً على اقتفائه وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستفظاعاً لصدور الذنب عن الأنبياء". (البيضاوي ن.، ١٤١٨هـ، صفحة ١١٢/١) ، ومنهم من تمسك بالقضية الشرطية واعتبرها سبباً غيبياً بينه الحق سبحانه، موجود في نفس النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وإلا ما الداعي من الوعيد في جواب الشرط (القاسم، ١٤٢٥، صفحة ٦٢/١).

أما السبحاني فله رأي آخر يقول فيه: "وعلى أي حال فقد تمسكت المخطئة بالقضية الشرطية على أرضية متوقعة في نفس النبي لاتباع أهوائهم وإلا فلا وجه للوعيد، ولكن الاستدلال على درجة من الوهن، إذ لا تدل القضية الشرطية إلا على الملازمة بين الشرط والجزاء، لا على تحقق الطرفين، ولا على إمكان تحققهما، وهذا من الواضح بمكان، قال سبحانه: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)، وليس فيها أي دلالة على تحقق المقدم أو التالي ، وبما ذكرنا يتضح حال الآية" (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٢٣٦/٥)

بين ظاهر اللفظ ومعناه دار قول المفسرين، والراجح من خلال ما تم ذكره أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ليس هو المعنى، بل أمته، وهذا يقيناً هو ما يناسب مقام النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومنزلته العظيمة.

أما الآية الثانية التي نتحدث عن معنى ظاهر هو مشيئة الله بمحو وإزالة ما أوحى إلى النبي ولا يكون له القدرة على الرد، ومعنى عميق يبين علم الله مع عدم إرادته بمحو وإزالة ما تمّ إنزاله، بمعنى آخر إن الله عندما أبلغ نبيه بهذا فهو من باب التحذير له، أما المعنى الآخر فهو بعكس ذلك تماماً، ولفهم المتقدم نعرض بعض الأقوال في تفسير الآية، فصاحب الكشف يقول: إن أمر محو القرآن وإزالته من السطور والصدور راجع إلى مشيئته سبحانه فهو القاهر فوق عباده وإليه يرجع الأمر، فلو شاء أزاله ومحا أثره، وليس لك يا محمد بعد ذلك من الأمر شيء، فلا أنت بقادر على رده، ولا لأحد ذلك غير الله، بمعنى آخر أن الله برحمته أنزله وبفضله ورحمته حفظه وليس لك من الأمر شيء (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، صفحة

لا يخفى ما في هذا النوع من التفسير من جفاء للحيب المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم)، الذي يخاطبه الحق سبحانه في مواضع كثيرة بالرفق واللين، ولغة الحب، فيقول جل من قائل: **أَأَنْزَلْنَاكَ مِنْ بَرِّئِ نِيٍّ بَرِّئَ بِمِ طَه: ١ - ٢**، وفي موضع آخر جعل اتباعه دليل حب الله، ووسيلة للحصول على محبته سبحانه فقال: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** آل عمران: ٣١

بل انه سبحانه قد جعل محبته (صلى الله عليه واله وسلم) مقدمة على محبة الأهل والمال، وكل متاع الدنيا، بعد أن قرنها بمحبة الذات الإلهية، فقال سبحانه: **﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾** التوبة: ٢٤.

وأيضاً لا يمكن قبول هكذا تفسير؛ لأنه يتعارض ومفهوم الاستقامة الذي تحدث عنه القرآن، كصفة ملازمة للنبي (صلى الله عليه واله وسلم)، قال تعالى: **﴿أَأَيُّسَ ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤﴾** يس: ١ - ٤، وهو أيضاً مما يتعارض مع حنو الله، وجمال التأكيد في الصلاة عليه، فيقول: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** الأحزاب: ٥٦.

وقد تعرض الإمام الرضا (عليه السلام) لتفسير الآية في معرض حوار عن إرادة الله مع سليمان في مجلس المأمون، بين فيها أنه سبحانه قد يعلم ما لا يريد أبداً واستدل بقوله تعالى: **﴿وَلَمَّا شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾** (الإسراء: ٨٦) فهو يعلم كيف يذهب ولا يذهب به أبداً... إلخ (الصدوق، ١٣٧٨هـ، صفحة ١٨٩/١)

وبذلك يكون التفسير الثاني أقرب للتيقن مع عدم وجود الوعيد لنبيه وحببيه وأفضل خلقه صلوات الله عليه وآله.

أما الآية الثالثة التي تحدث فيها الحق سبحانه عن مقدمة ونتيجة، يقول فيها إن أشركت يا محمد لا يكون لك عمل تقبله، "وبالجملة الحبط هو بطلان العمل وسقوطه عن التأثير" (الطباطبائي، د.ت، صفحة ٨٦١/٢)

إن السياق القرآني يتحدث عن المشركين، ثم يتحول إلى النبي فهل أن المعني من الخطاب هو النبي أم غيره؟ وفي الآية قولان: أحدهما: يقول أن قوله: **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** يقول تعالى ذكره: ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل **﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾** يقول: لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد، ليبطلن عملك، ولا تتال به ثواباً، ولا تترك جزء إلا جزءاً من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم .. ومعنى الكلام: ولقد أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحى إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك.

ومعنى قوله: **﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** ولتكونن من الهالكين بالإشراك" (الطبري، ١٤٢٠هـ، صفحة ٣٢٢/٢١)

لكن هذا التفسير مرفوض ومستهجن عند الإمامية، فيذكر الصدوق "في عيون الاخبار في باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الانبياء عليهم السلام باسناده إلى علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام، فقال له المأمون: يابن رسول الله أليس من قولك ان الانبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله إلى أن قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: (عفى الله عنك لم أذنت لهم) قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بآياك اعنى واسمعي يا جارة خاطب الله تعالى بذلك نبيه صلى الله عليه واله وأراد به امته، وكذلك قوله عز

وجل : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وقوله تعالى: (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً ) قال : صدقت يا بن رسول الله" (الصدوق، ١٣٧٨هـ، صفحة ٢/٢٠٢)

إن هذه الآية ونظائرها التي تتحدث عن القضية الشرطية . إن فعلت كذا فجزاؤك كذا، لا تدل على ما في نفس صاحب الخطاب، من توقع حدوث هذا الأمر من المخاطب، لأمرين:

" ألف : أن هذه الآيات تخاطب النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بما أنه بشر ذو غرائر جامحة بصاحبها ، ففي هذا المجال يصح أن يخاطب النبي بأنه لو فعل كذا لقبول بكذا ، وهذا لا يكون دليلاً على إمكان وقوع العصيان منه بعدما تشرف بالنبوة وُجِّهَ بالعصمة وعُزِّزَ بالرعاية الربانية ، فالآيات التي تخاطب النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بما هو بشر لا تعم ذلك المجال.

ب. أن هذه الآيات تركز على الجانب التربوي، والهدف تعريف الناس بوظائفهم وتكاليفهم أمام الله سبحانه ، فإذا كان النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) . نبي العظمة . محكوماً بهذه الأحكام ومخاطباً بها ، فغيره أولى أن يكون محكوماً بها.

وعلى ذلك فتكون الآيات واردة مجرى: « إياك أعني واسمعي يا جارة » ، فهؤلاء الذين يتخذون تلك الآيات وسيلة لإنكار العصمة ، غير مطلقين على « ألف باء » القرآن ، وبذلك يظهر مفاد كثير من الآيات النازلة في هذا المجال" (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٥/٢٣٨.٢٣٧)

وبعد هذا العرض يكون المدار بين مقر يكون أن المعني من الخطاب هو النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبين منكر، وما أرجحه بعد هذا العرض، هو القول الثاني؛ لما فيه من واقعية ونظرة شاملة منصفة لمقام النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأن من خصه الله بالنبوة وحمل الرسالة لا يكون إلا كاملاً منزهاً عن النقائص، فلا يكون منه إشراك أبداً، ولذا لا يكون للإحباط حينئذٍ محل، وصدور هكذا خطاب متضمن لجنبه تربية المعني بها عامة الناس، والمخاطب هو المبلغ؛ لأنه يكون حينئذٍ أدعى للقبول، والامتثال. فيفهم أن مجرى الآية من باب (اياك أعني واسمعي يا جارة)، وهذا شامل لكثير من الآيات القرآنية الواردة في هذا المعنى. أما من نظر إلى هذه الآيات نظرة ظاهرة، وجعلها دليلاً على نفي العصمة، فهو بعيد عن جوهر القرآن.

أما الآية الرابعة فقد ورد فيها إنه لو تكلم علينا بالكلام الباطل، المخالف لما أوحى به إليه، لأخذناه بالقوة وأهناه، وفي هذه الآيات تهديد وتحذير، بأن هذا حكمه في أوليائه، ومن يعز عليه ليعتبر غيرهم. (النحاس، ١٤٢١هـ، صفحة ٥/١٩)

وقوله "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ يعني رسول الله ص لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ قَالَ انْتَقَمْنَا مِنْهُ بِقُوَّةٍ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ قَالَ عَرِقَ فِي الظَّهْرِ يَكُونُ مِنْهُ الْوَلَدُ قَالَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ يعني لا يحجز عن الله أحد ولا يمنعه من رسول الله" (القمي، ١٤٠٤هـ، صفحة ٢/٣٨٥.٣٨٤)

أما الشيرازي فيقول في تفسيره إن هذه الآيات تؤكد يقينية كون هذا القرآن من الله تعالى، وليست من محمد بن عبد الله، وليس له التقول علينا، والتقول بمعنى الحديث الكذب، وإنه(صلى الله عليه وآله وسلم) لو فعل ذلك لعاقبناه وجازيناه، وذلك يكون بالأخذ باليد اليمنى التي تعتبر مصدر القوة والقدرة عند الإنسان، ثم لقطعنا عرق القلب الذي عن طريقه يصل الدم الى جميع أعضاء الجسم، وفي ذلك دلالة على سرعة العقوبة، وبعد هذا كله ليس من أحد يحجزنا ويمنعنا من ذلك. (الشيرازي، ١٤٢٠هـ، صفحة ١٨/٣٨٢.٣٨١)

لا أعلم بعد هذا العرض لأقوال أهل التفسير من كلا الطرفين هل أن المعني من الخطاب هو رسول رب العالمين، وسيد الخلق أجمعين، والذي لا ينطق إلا بالحق المبين؟! ولمَّ الوعيد والتهديد، بعد أن علم سبحانه انه لا ينطق إلا بما أوحى إليه؟! إلا إذا كان المقصود من الخطاب غيره (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإلا كيف يتوعده ويصدقه في أن واحد، أو أن

يكون في باب ذكر الأمر الذي لا يمكن أن يكون أبداً؛ ليقينية كونه من الله تعالى، كما بيناه في الرأي آنف الذكر، للشيرازي.

وبهذا يمكن الإفادة بوساطة المتقدم أن المعني من الخطاب هم المخالفون وليس الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وذلك بأن القرآن من الله سبحانه وليس من محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

الأمر الآخر: إن الله يؤكد أن كل ما جاء به محمد (صلى الله عليه واله وسلم) هو الحق وأنه كلام إلهي، وهذا ما دلّ عليه السياق من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ الحاقة: ٤٠. ٤٣. وبعد هذا يمكن الجزم بأن الله لا يهدد أو يتوعد نبيه أنه إذا أخلف؛ لعلمه إن ذلك لا يكون أبداً، بل من باب الفرض، وفرض المحال ليس بالمحال.

أما قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ البقرة: ١٤٧

أي لا تكون من الشاكين من إنها قبيلتك وقبلة الأنبياء قبلك، فالمعني من الخطاب هو النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (حاتم، ١٤١٩هـ، صفحة ٢٥٦/١)

ولكن البعض نسب الشك إلى غير النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، ومن كلا الفريقين، يقيناً، أو ظناً على وجه الاحتمال فقال: "يحتمل: أن يكون الخطاب له والمراد غيره، ويحتمل: هو، وإن كان يعلم أنه لا يمترى؛ لما ذكرنا في غير موضع أن العصمة لا تمنع النهي عن الشيء" (الماتريدي، ١٤٢٦هـ، صفحة ٥٩١.٥٩٠/١)

ولكن غير واحد قد جزم بأنه لا يحتمل الشك منه (صلى الله عليه واله وسلم)، بل هو من اليقين، فقوله "فلا تكونن من الممترين: أي الشاكين في أنه من ربك، أو في كتمانهم الحق عالمين به، والمراد أما تحقيق الامر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر، أو أمر الامة باكتساب المعارف المزينة للشك على الوجه الأبلغ، وإلا فالشك غير متوقع من الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولا يكون بقصد واختيار في غيره" (المشهدى، د.ت، صفحة ٣٨٤/١)

وعليه ومما "لا شك أن الخطاب جرى مجرى ما ذكرنا: «إياك أعني واسمعي يا جارة»، فإن النبي الأعظم بعدما اتصل بعالم الغيب وشاهد ورأى الملائكة وسمع كلامهم، هل يمكن أن يتسرّب إليه الشك حتى يصح أن يخاطب بقوله: ( فلا تكن من الممترين ) على الجد والحقيقة؟" (السبحاني، ١٤٣١هـ، صفحة ٢٣٨/٥)

بين الاحتمال والحقيقة يتبين لنا أن المعني من قوله تعالى هو كل من قرأ النص في زمن النبي أو بعده، وإنما جاء النص مخاطباً النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ليُعلم الناس، وبذلك يكون الخطاب أكبر أثراً، وأمضى تأثيراً في النفوس.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ حَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ النساء: ١٠٧

فقد كان لأهل التفسير فيه أقوال، فيرى ابن عجيبة أن الآية نزلت في السياق القرآني الذي "يقول الحق جلّ جلاله لنبيه- عليه الصلاة والسلام- حين همّ أن يخاصم عن طعمته بن أبيرق، وذلك أنه سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان، في جراب دقيق، فجعل الدقيق يسقط من خرق فيه، وخبأها عند يهودي، فالتمس الدرع عند طعمة، فلم توجد، وحلف ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال اليهودي: دَفَعَهَا إِلَيَّ طُعْمَةٌ، وشهد له ناس من اليهود، فقال رهط طعمة من بني ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله أن يجادل عن صاحبنا، وقالوا: إن لم يفعل هلك وافتضح، وبرئ اليهودي، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتماداً على ظاهر الأمر،

ولم يكن له علم بالواقعة، فنزلت الآية .... ثم نهاه عن الذب عنهم، فقال: وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ وهم رهط ابن أبيرق السارق" (عجيبية، ١٤١٩هـ، صفحة ١/٥٥٧.٥٥٦)

ونقل الطوسي قول الضحاك: بأنها" نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجدد صاحبها فخونه رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فغضب له قوم فاتوا نبي الله، فقالوا: أخونوا صاحبنا، وهو أمين مسلم؟ فعذره النبي صلى الله عليه وآله وكذب عنه. وهو يرى أنه بريء مكذوب عليه، فانزل الله فيه الآيات. واختار الطبري هذا الوجه وقال: لان الخيانة إنما تكون في الوديعة فأما السارق فلا يسمى خائنا فحمله عليه أولى وكل ذلك جائز" (الطوسي، د.ت، صفحة ٣/٣١٨.٣١٧).

وهذان التفسيران فيهما نظر من وجوه عدة:

**أولها:** غياب التسديد عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من أول الأمر.

**الثاني:** همه (صلى الله عليه واله وسلم) للحكم بالظاهر، مع عدم العلم بالواقعة.

**الثالث:** نقل لنا التفسير صورة عصبية جاهلية لمحاولة انتصار فئة على غيرها.

جاءت الآية الكريمة في السياق الذي يفرض بالتوصية بالعدل في الحكم، والنهي عن أن يميل الحاكم في حكمه، والقاضي في قضائه إلى المبطلين، فيجور على أهل الحق أياً كانوا، وتنبه المؤمنين على أن الدين عمل لا قول، وحقيقة لا اسم، وإنما ينفع العمل به لا القول، والتلبس دون التسمي، (الطباطبائي، د.ت)

ثم يقول صاحب تفسير الميزان لاشك " أن هذه القصة هي التي يشير إليها قوله تعالى "و من يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً" أن هذه القصة أيضاً هي التي تشير إليها الآيات الأولى كما في قوله تعالى "و لا تكن للخائنين خصيماً" الآية وقوله "يستخفون من الناس" الآية وقوله "ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم" إلخ فإن الخيانة وإن كان ظاهرها ما يكون في الودائع والأمانات لكن سياق قوله "إن الله لا يحب من كان خواناً أثماً يستخفون من الناس" .... يعطي أن المراد بها ما يتحقق في سرقة ونحوها بعناية أن المؤمنين كنفس واحدة، وما لبعضهم من المال مسئول عنه البعض الآخر من حيث رعاية احترامه، والاهتمام بحفظه وحمايته، فتعدى بعضهم إلى مال البعض خيانة منهم لأنفسهم، فالتدبر يقرب أن القصة كأنها سرقة وقعت من بعضهم ثم رفع الأمر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرمى بها السارق غيره ممن هو بريء منها، ثم ألح قوم السارق عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقضي لهم، وبالغوا في أن يغيروه (صلى الله عليه وآله وسلم) على المتهم البريء فأنزلت الآيات وبرأه الله مما قالوا، فالآيات أشد انطباقاً على ما روي في سبب النزول من قصة سرقة أبي طعمة بن الأبيرق، وإن كانت أسباب النزول - كما سمعت مراراً - في أغلب ما رويت من قبيل تطبيق القصص المأثورة على ما يناسبها من الآيات القرآنية" (الطباطبائي، د.ت)

يتبين بوساطة ما تم ذكره من بيان لمعنى الآية ان في التفسير الأول، والثاني نظر، بخلاف الثالث، من عدة وجوه:

**الأول:** غياب التسديد للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في هذه القضية من أول الأمر، مما اضطره لاعتماد قولهم، إلا أن يكون في الآية أمر عام أراد الحق بيانه عن طريق قوله للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) لا تجادل.

**الثاني:** إن القرآن الكريم كثيراً ما دعا إلى طاعة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وجعل طاعة الرسول مقرونة بطاعته سبحانه، فقال جل ذكره: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ النور: ٥٤.

فمن كان هذا حاله لا يمكن أن ينعى بترك الجدل، إلا إذا كان في الآية أمر توجيهي، والمعنى به غيره (صلى الله عليه وآله وسلم).

**الثالث:** إنه سبحانه أخبر بأن نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق عن الهوى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم: ٣.

أي أن كل ما يقوله، وينطق به هو من الله سبحانه، فكيف يجادل، والحال هذه بإخبار القرآن، إلا أن يكون للآية معنى باطن غاب عن صاحب التفسير.

### الخاتمة والنتائج:

من خلال ما تقدم من دراسة، يمكن أن أشير إلى عدة نتائج لمستنها، أوجزها بنقاط أهمها:

- ١- إن العصمة من الثوابت القرآنية، التي لا يمكن إنكارها، أما ما تباين فيه قول المفسرين من الخطابات الحادة أو التحذيرية، فإنه لا يمكن أن يكون على وجه الحقيقة، بل هو من نوع التوجيه والتنبيه للامة لأنه عندئذ أقرب للقبول.
- ٢- الأنبياء قادة إلهيين، لهم الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا وطاعتهم واجبة، وهي مقرونة بطاعة الله سبحانه وتعالى، ومن كان هذا حاله، لا يمكن إلا أن يكون معصوماً لأن غير المعصوم لا يكون قدوة لغيره في كل الأحوال.
- ٣- تفاوت المفسرين بين إقرار هذه الحقيقة وإنكارها، والأصل الذي عليه الأعم الأغلب من جمهور المفسرين هو الإقرار، لأن إنكارها يتعارض مع الغرض الذي بعث من أجله الأنبياء.
- ٤- إن ما ورد عن أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الجزم بعصمة الأنبياء في التبليغ وغيره، دون كونها راجعة إلى التبليغ فقط.
- ٥- تعدد الآراء بين الإقرار والإنكار، راجع لاختلاف الفهم ومدى صلة القائل بالأصل الذي ورد عنه التفسير الواقعي للآيات.
- ٦- إن العصمة، نتيجة حقيقية لجوهر المعصوم، كان فيها النبي أقرب للفيض الإلهي من غيره.
- ٧- إن الأنبياء أكرم من أن يوبخوا أو يقرعوا، إذ هم الغاية الأساسية للخلق، والمثل الأكمل الذي يباهي به الحق ملائكته، وبهم تتحقق الخلافة الحقيقية.
- ٨- لا يدرك حقيقة الأنبياء، وكنه جوهرهم الفريد من البشر إلا من كان في منزلتهم.

## المراجع

- الحاكم النيسابوري. (١٤١١هـ). *المستدرک (المجلد الأولی)*. (مصطفى عبد القادر، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن أبي حاتم. (١٩٩٧). *تفسير ابن أبي حاتم (المجلد الأولی)*. (اسعد محمد الطيب، المحرر) الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن عطية الغرناطي. (١٩٩٣). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (المجلد د. ط)*. (عبد السلام الشافي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن فارس. (١٩٧٩م). *معجم مقاييس اللغة*. دمشق: دار الفكر للطباعة.
- أبو الحسن، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي. (١٤٠٤هـ). *تفسير القمي*. قم: مؤسسة دار الكتاب.
- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسن بن الأنجزي الفاسي الصوفي بن عجيبة. (١٤١٩هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (المجلد د. ط)*. (أحمد عبد الله القرشي رسلان، المحرر) القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي.
- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري. (١٤٠٧هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (المجلد الثالثة)*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. (د.ت). *بحر العلوم*.
- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي النحاس. (١٤٢١هـ). *إعراب القرآن*. بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.
- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. (د.ت). *التبيان في تفسير القرآن*. دار إحياء التراث العربي.
- أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه الشيخ الصدوق. (١٣٧٨هـ). *عيون أيار الإمام الرضا عليه السلام*. جهان: دار العالم للنشر.
- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم. (١٤١٩هـ). *تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (المجلد الثالثة)*. (أسعد محمد الطيب، المحرر) المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابواسحق الزجاج. (١٩٨٨). *معاني القرآن وإعرابه (المجلد الأولی)*. (عبد الجليل الشلبي، المحرر) بيروت: عالم الكتب.
- ابوالسعود. (د.ت). *تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (عبد القادر احمد عطا، المحرر) الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.
- ابوجعفر النحاس. (١٩٨٨). *معاني القرآن الكريم (المجلد الأولی)*. (محمد علي الصابوني، المحرر) مكة المكرمة: مركز احياء التراث العربي.
- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. (د.ت). *كتاب العين (المجلد د. ط)*. (د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، المحرر) دار ومكتبة الهلال.
- احمد الثعلبي. (٢٠٠٢). *الكشف والبيان (المجلد الأولی)*. (ابي محمد بن عاشور، المحرر) بيروت: دار احياء التراث العربي.
- أحمد عبيد الداعس. أحمد محمد حميدان. إسماعيل محمود القاسم. (١٤٢٥). *إعراب القرآن الكريم (المجلد الأولی)*. دمشق: دار المنير ودار الفارابي.
- احمد مصطفى المراغي. (١٩٤٦). *تفسير المراغي (المجلد الأولی)*. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده.
- احمد البصراوي الحلبي. / ٢٣٤. (بلا تاريخ).

- الألوسي. (١٩٩٤م). روح المعاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- التهانوي. (١٩٩٦). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- الثعلبي. (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م). الكشف والبيان (المجلد الأول). (نصير الساعدي، المحرر) بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- الخطيب الاسكافي. (٢٠٠١م). درة التنزيل وغرة التأويل (المجلد الأول). (محمد مصطفى أيدن، المحرر) مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- الخليل الفراهيدي. (٢٠٠٣م). العين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشيخ الصدوق. (د.ت). عيون أخبار الرضا (المجلد د.ط).
- العلامة المجلسي. (١٤٠٤). بحار الأنوار (المجلد الرابعة). بيروت: مؤسسة الوفاء.
- الفخر الرازي. (٢٠٠٠). مفاتيح الغيب (المجلد الأول). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفيض الكاشاني. (بلا تاريخ). التفسير الصافي.
- الكفوي. (١٩٩٨م). الكليات. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الميرزا محمد المشهدي. (د.ت). تفسير كنز الدقائق (المجلد د.ط).
- أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي. (د.ت). تفسير مجمع البيان. المجمع العالمي لأهل البيت.
- آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. (١٤٢٠هـ). الأمل في تفسير كتاب الله المنزل (المجلد الثانية). بيروت لبنان: الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع.
- جعفر السبحاني. (١٤٣١هـ). مفاهيم القرآن (المجلد الأول). إيران، قم: مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفي ٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفي السيوطي. (د.ت). تفسير الجلالين (المجلد الأول). القاهرة: دار الحديث.
- زين-الدين. (١٤٠٣). الاخلاق عند الامام الصادق. إيران: منظمة الإعلام الاسلامي.
- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. (١٤١٥هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- صبحي الصالح. (٢٠٠٤). نهج البلاغة. القاهرة: دار الكتاب المصري.
- عبد الرؤوف المناوي. (١٩٩٠). التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشورالتونسي. (١٩٨٤). التحرير والتنوير (تحرير المعنى السدسد وتنوير العقل الجديدفي تفسير الكتاب المجيد). تونس: الدار التونسية للنشر.
- محمد الطبري. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المجلد الأول). القاهرة: دار هجر للطباعة.
- محمد الماتريدي. (٢٠٠٥). تأويلات اهل السنة (المجلد الأول). (مجدي باسلوم، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمد بن بن-عاشور. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري. (١٤٢٠هـ). جامع البيان في تأويل القرآن (المجلد الأول). (أحمد محم شاکر، المحرر) مؤسسة الرسالة.

- محمد بن حسين الطباطبائي. (١٣٩٠ هـ). *الميزان في تفسير القرآن* (المجلد الثانية). بيروت . لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- محمد بن عمر الفخر الرازي. (١٤٢٠ هـ). *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)* (المجلد الثالثة). بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- محمد بن محمد بن محمود، أو منصور الماتريدي. (١٤٢٦ هـ). *تغيير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)* (المجلد الأولى). (د.مجدي باسلوم، المحرر) بيروت . لبنان: دار الكتب العلمية.
- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي. (١٤١٤ هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.
- محمد بن يعقوب الكليني. (١٣٦٥). *الكافي* (المجلد الرابعة). طهران: دار الكتب الاسلامية.
- محمد حسين الطباطبائي. (د.ت). *الميزان في تفسير القرآن*.
- مكارم الشيرازي. (١٤٢٦ هـ). *الأخلاق في القرآن* (المجلد الثانية). قم: مدرسة الامام علي عليه السلام.
- مكارم الشيرازي. (٢٠١٣ م). *تفسير الامثل* (المجلد الاولى). بيروت: مؤسسة الاعلمي.
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. (١٤١٨ هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. (محمد عيد الرحمن المرعشي، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- هاشم بن سليمان البحراني. (١٤١٥ هـ). *البرهان في تفسير القرآن* (المجلد الأولى). ايران . قم: مؤسسة البعثة ، قسم الدراسات الإسلامية.